مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
12 العدد الثاني عشر
ديسمبر 2021

مفهوم العبادة في القرآن الكريم
دراسة مصطلحية

د. سعيد بن محمد بن علي آل موسى*
smalmosa@kku.edu.sa

د. عبدالكريم مصلح البحلة**
dr.abdulkrimalbahl@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/7/09م	تاريخ القبول: 2021/8/11م

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى تبيين مفهوم العبادة في القرآن الكريم؛ وقد تم تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة، قام الباحثان، فيها، بحصر ورود هذا المصطلح في القرآن الكريم بكل مشتقاته، وتتبعا دلالاته من خلال السياقات المختلفة التي ورد فيها، وكذلك من خلال ضمائمه التي اقترنت به، وناقشا كل ذلك مستعينين بأقوال العلماء وآرائهم. وقد توصلا إلى أن مفهوم العبادة مفهوم شامل كامل -لا ينبغي تجزئته-، فهو يشمل كل معتقدات الإنسان وسلوكياته القولية والفعلية إيجابًا أو سلبًا، وما المعاني التي ذكرها العلماء لهذا المفهوم إلا سمات دلالية له، وأول تلك السمات معرفة المعبود المستحق للعبادة وتوحيده، والقيام بكل تعاليمه واجتناب كل نواهيه.

الكلمات المفتاحية: مفهوم العبادة، دراسة مصطلحية، السلوكيات القولية، السلوكيات الفعلية.

* أستاذ اللغويات المشارك - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد/ أبها - المملكة العربية السعودية.
** أستاذ اللسانيات - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة ذمار - الجمهورية اليمنية.

DOI: 10.53286/2118-000-012-001

العـدد الثاني عشر 12
ديسمـــبر 2021

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

The Concept of Worship in the Holy Quran: A Terminological Study

Dr. Saeed Mohammed Ali Al Mosa* smalmosa@kku.edu.sa

Dr. Abdulkarim Musleh Al-Bahla** dr.abdulkrimalbahl@gmail.com

Received on: 09/07/2021 | **Accepted on: 11/08/2021**

Abstract:

This research aims to clarify the concept of 'worship' in the Holy Quran. It has been divided into: an introduction, three sections, and a conclusion. In the three sections, the researchers compiled the recurrence of the term 'worship' in the Holy Quran with all its derivatives, and traced its connotations through the different contexts in which it was mentioned, as well as, its collocations associated with it. The researchers used the viewpoints of different scholars. They concluded that the concept of 'worship' is comprehensive and complete in itself in the sense that it should not be divided. It includes all human beliefs and their verbal and actual behaviors, positive they were or negative. The meanings that scholars have given to this concept are nothing but semantic features of it; and the first of these features is to recognize the Deity, the One Who is worthy of worship, to believe in His oneness, to follow all His teachings, and to avoid all that He prohibited.

Keywords: 'Worship' concept, Terminological study, Verbal behaviors, Actual behaviors.

*Associate Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, Faculty of Humanities, King Khalid University, Abha, Saudi Arabia.

**Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Thamar University, Republic of Yemen.

مدخل:

يرى بعض العلماء وكثير من الباحثين والمفكرين أن أساس الاختلاف بين أبناء الأمة يرجع إلى عدم الاتفاق على تحديد مفاهيم المصطلحات الحياتية المتعلقة بحياتهم، سواء أكانت دينية، أم عرفية، أم لغوية، ولذلك يعكف كثير من الباحثين، وكذلك المجامع العلمية واللغوية على دراسة تلك المصطلحات، محاولين تحديد مفاهيمها ودلالاتها بكل دقة؛ ليعملوا على تقليص هوة الخلاف بين أبناء الأمة.

وقد ارتأى الباحثان أن يسهما ولو بجهد يسير في ذلك الاتجاه، ورأيا أن يتناولا مصطلحًا دينيا مهمًا هو مصطلح (العبادة)؛ ليقفا على دلالته بكل دقة، ولكي يحققا هدفهما الأول، فقد رأيا أن يكون ميدان دراستهما القرآن الكريم، أفصح نص لغوي عرفته البشرية، وذلك من خلال تتبع ورود ذلك اللفظ بكل الصيغ التي ورد عليها، ومعرفة دلالته في كل سياق ورد فيه، مستعينين بكل ضمائمه الإسنادية وغير الإسنادية التي تعلقت به؛ لاستنباط دلالاته بكل دقة.

أما السبب المباشر الذي جعل الباحثين يختاران هذا المصطلح تحديدًا فهو ظن كثير من الناس أن مفهوم العبادة هو إقامة الشعائر الدينية المفروضة عليهم مثل (الشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت) وما يدخل تحتها من السنن، ولعل مما أدّى إلى ذلك الظن وساعد على ترسيخه هو وجود قسم كبير من الفقه الإسلامي تحت اسم (فقه العبادات) فقط.

الأسئلة التي يعمل البحث على الإجابة عنها:

1- ما المعنى اللغوي للعبادة؟
2- ما مفهوم العبادة في القرآن الكريم؟
3- ما علاقة العبادة بأداء الشعائر الدينية؟
4- هل ثمة فرق بين العبادة والطاعة؟
5- ما الصيغ الصرفية التي ورد عليها هذا اللفظ في القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة هي الأهداف الأساسية للبحث، وثمة أهداف أخرى، أهمها طرح طريقة جديدة للدراسة المصطلحية المفهومية للباحثين الراغبين في هذا النوع من البحوث.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات التي تناولت مفاهيم بعض الألفاظ بدراسة مصطلحية، ومنها عل سبيل المثال:

- مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف، للطيب البوهالي.
- مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث الشريف، لعبدالكبير حميدي.
- مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، لمحمد البوزي.
- مفهوم الحياة في القرآن والحديث، لمحمد الأحمدي.
- مفهوما الفعل والعمل والفرق بينهما في ضوء الاستعمال القرآني، لعبدالكريم البحلة.
- العلاقة بين التخلف والقعود ومشتقاتهما في ضوء الاستعمال اللغوي، لعبدالله الغُبَسي.

وغيرها من الدراسات، ولم يتطرق أحد من الباحثين لمفهوم العبادة في القرآن الكريم، وهذا ما جعل الباحثين يقومان بهذا البحث. ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم تلك البحوث والدراسات قد نشرت من قبل معهد الدراسات المصطلحية، ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، في المملكة المغربية.

أما المنهج الذي سيتبعه الباحثان في بحثهما فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، ونظرًا لطبيعة البحث، فإن هذين المنهجين سيتطلبان المنهج الإحصائي؛ إذ سيقوم الباحثان بإحصاء ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم بكل صيغه التي ورد عليها.

وسيكون البحث -بمشيئة الله- وفقًا للهيكلية الآتية:

المقدمة: وفيها، أسئلة البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وتقسيم البحث.

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي: العبادة والطاعة، وورودهما في القرآن الكريم، وصيغ ذلك الورود وضمائمه.

المطلب الثاني: إحصاء عام لورود لفظي: العبادة والطاعة في القرآن الكريم، وإسناد أفعالها إلى الفاعلين، وتسلطها على المفعولين.

المطلب الثالث: الاستنتاجات المستفادة من إحصاء ورود لفظي: العبادة والطاعة في القرآن الكريم، وإسنادها إلى أفعالها، وتسلطها على مفعولاتها.

المطلب الرابع: مناقشة الفروض، واستخلاص النتائج.

وسيكون ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول:

المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظي (العبادة والطاعة) والفرق بينهما.

أولًا: المعنى اللغوي للعبادة:

ذكر ابن فارس أن "العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ، فالأول العبد، وهو المملوك، والجماعة العبيد، وثلاثة أعبد وهم العباد"[1].

ثم ذكر قول الخليل: "إن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله، والعبيد المملوكين، وعبدٌ بيّن العبودة وأقر بالعبودية، ولم أسمعهم يشتقون منه فعلًا، ولو اشتق لقيل: عَبُدَ أي صار عبدًا، ولكن أُميت منه الفعل...، وأما عَبَدَ يَعبُدُ عبادة، فلا يقال إلا لمن يعبد الله. وتعبّد تعبّدًا أي تفرد بالعبادة. وأما عبُد خدم مولاه، فلا يقال: عَبَدَه ولا يعبد مولاه"[2]. أما الأصل الثاني الذي ذكره

ابن فارس فهو قوله: "والأصل الآخر العَبَدَة، وهي القوة والصلابة، يقال: هذا ثوب له عَبَدَة، إذا كان صفيقًا قويًا، ومنه علقمة ابن عَبَدَة بفتح الباء. ومن هذا القياس العَبَد، مثل الأنَف والحميَّة، يقال: هو يَعبَدُ لهذا الأمر، وفُسّر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾" (الزخرف: 81)، أي: أول من غضب عن هذا وأنف من قوله. وذُكر عن علي عليه السلام أنه قال: (عَبِدتُ فَصَمَتُّ)، أي أنفت، فسكتُّ، وقال (البسيط):

ويَعبَد الجاهل الجافي بحقّهم بعد القضاء عليه حين لا عَبَدُ.

وقال آخر (الطويل)[3]:

وأعبَدُ أن تهجى كليب بدارم.

أي: آنف من ذلك وأغضب منه.

أما ابن منظور فقد عرّف العبادة بقوله: "ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللًا بكثرة الوطء"[4].

ويعد تعريف ابن منظور أدق تلك التعريفات اللغوية؛ لاشتماله على معنى اللفظ، مع سماته الدلالية.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للعبادة

عرف الجرجاني العبادة بقوله: "العبادة: هو فعل المكلف على خلاف نفسه؛ تعظيمًا لربه"[5]، وهذا تعريف ناقص وغير دقيق؛ لأنه قصر العبادة على أداء بعض التكاليف الدينية التي يكون فيها بعض المشقة على النفس، عند بعض العباد فقط؛ لأن العبّاد الحقيقيين المحبين لربهم -جل ذكره- لا يجدون أي مشقة على أنفسهم في أدائهم لتلك التكاليف، بل على العكس من ذلك يجدون فيها لذة وراحة بال لا توصف.

أما أبو البقاء الكفوي فقد عرف العبادة اصطلاحًا بقوله: "العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل"[6]. وفي موضع آخر من كتابه فرق بينهما، إذ قال: "والعبودية أقوى من

العبادة؛ لأنها الرضى بما يفعل الرب، والعبادة: فعل ما يرضي الرب. والعبادة تسقط في العقبى، والعبودية لا تسقط"[7].

وعُرّفت العبادة بأنها: "تعظيم الله وامتثال أوامره. وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض"[8].

وقيل في تعريفها أيضًا: "العبادة -بكسر العين وفتح الدال- مص عَبَدَ: التصرفات المشروعة التي تجمع كمال المحبة والخوف والخضوع لله تعالى"[9].

وهذا التعريف يعد تعريفًا جامعًا مانعًا؛ لنصه على كل تصرفات الإنسان المشروعة له من الله سبحانه وتعالى، سواء أكانت تلك التصرفات في أداء الفرائض والسنن المشروعة، أم في ترك المنهيات والمعاصي، وكل ذلك تحت دافع المحبة والخوف والخضوع لله تعالى، وتقدست أسماؤه. وهناك من صاغ هذا المفهوم بعبارة أخرى، إذ عرف العبادة بأنها: "الدينونة الشاملة لله وحده في كل شأن من شؤون الدنيا... والآخرة، بل إن مفهوم العبادة مفهوم شامل، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في السلوك الإنساني إلا ويدرجها تحت مظلته"[10].

ومن العلماء من يقصر مفهوم العبادة على توحيد الله سبحانه وتعالى، فقد ذكر أبو البقاء الكفوي ذلك إذ قال: "قال عكرمة: جميع ما ذكر في القرآن الكريم من العبادة فالمراد به التوحيد"[11].

واستدل بعض العلماء على ذلك بأن القرآن الكريم دعا الناس إلى العبادة قبل أن تشرع الشعائر، من صلاة وصيام وحج... إلخ[12].

ولعل مما جعلهم يذهبون إلى ذلك ورود الدعوة إلى العبادة في القرآن الكريم ثم العطف عليها بإقامة بعض الشعائر الدينية وذلك نحو قوله جلّ ذكره: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: 14]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ (البينة: 5).

ومن العلماء -أيضًا- من رأى أن مفهوم العبادة هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالتعظيم والخضوع والمحبة، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ (البقرة: 21).

إذ قال: "لقد وجه الله سبحانه الخطاب إلى الناس جميعًا بما فيهم الذين ذكرهم من قبل من المنافقين واليهود والمشركين بأن يفردوه سبحانه بالتعظيم والخضوع والمحبة، وهذا هو مفهوم العبادة"[13].

علاقة العبادة بأداء الشعائر الدينية:

لا يمكن اختزال مفهوم العبادة وحصره في أداء الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وصيام وحج؛ لأن القرآن الكريم قد فرق بين هذا المفهوم وتلك الشعائر عند وروده مقترنا بها، قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه: 14).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ البينة:5 وكذلك ورد لفظ العبادة معطوفًا على بعض الشعائر في آيات أخرى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ (الحج: 77). وقال سبحانه: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ٦٢﴾ (النجم: 62).

وكذلك لا يمكن قطع الصلة بين أداء الشعائر الدينية والعبادة؛ لأنها مظهر من مظاهر العبادة، وصورة من صورها فقط.

إن مفهوم العبادة مفهوم شامل كامل يستوعب كل المظاهر الحياتية للإنسان: الدينية والعرفية والأخلاقية بكل هيئاتها وكيفياتها. كيف لا، وهي- أي العبادة- علة الإيجاد والخلق؟ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ (الذاريات: 56)، فعبادة الله جل شأنه هي الوظيفة الأولى والأساسية للمخلوقين المكلفين، وهي علة وجودهم.

الفرق بين العبادة والطاعة:

الطاعة لغة تدل على الإصحاب والانقياد، قال ابن فارس: "الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد، يدل على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه، يطوعه، إذ انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه بمعنى طاع له، ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه. والاستطاعة مشتقة من الطوع، كأنها كانت في الأصل الاستطواع، فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلًا منها، مثل قياس الاستعانة والاستعاذة.... ثم يقولون: تطوع، أي تكلف استطاعته. وأما قولهم في التبرع بالشيء: قد تطوع به فهو من الباب، لأنه لم يلزمه، لكنه انقاد مع خير أحب أن يفعله..."[14].

وجاء في العين أن الطاعة "اسم لما يكون مصدره الإطاعة وهو الانقياد، والطواعية اسم لما يكون مصدره المطاوعة. يقال: طاوعت المرأة زوجها طواعية حسنة، ولا يقال للرعية: ما أحسن طواعيتهم للراعي، لأن فعلهم الإطاعة"[15].

أما الطاعة اصطلاحًا فهي "موافقة الأمر طوعًا، وهي تجوز لغير الله عندنا. وعند المعتزلة هي موافقة الإرادة"[16].

وجاء في التوقيف على مهمات التعاريف -زيادة عن ذلك- قوله: "الطوع: الانقياد بسهولة. والطاعة مثله، لكن أكثر ما يقال في الائتمار فيما أمر، والارتسام فيما رسم، والتطوع: تكلف الطاعة، وهو في التعارف: التبرع بما لا يلزم، كالنفل"[17].

تطرق كثير من العلماء إلى التفريق بين مفهومي العبادة، والطاعة، بل إن ابن منظور قد ذهب في تعريفه للعبادة بأنها الطاعة مع الخضوع -كما ذكر سابقًا-، وعلى الرغم من كون ذلك التعريف أدق التعريفات اللغوية للعبادة؛ لاشتماله على معنى اللفظ مقرونًا بسماته الدلالية، فإنه ما زال قاصرًا؛ لأن طاعة الله مع الخضوع والتذلل له سبحانه تعد مظهرًا من مظاهر العبادة، ولعله من أهم مظاهرها، وقد ورد في بعض الآيات القرآنية مقتصرًا على تلك الدلالة، ولا سيما عند تعديه أو اقترانه بغير الله تبارك وتعالى، وسيوضح الباحثان ذلك لاحقًا.

وقد فرق أبو هلال العسكري بين العبادة والطاعة، إذ قال: "العبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة بالمعبود. والطاعة: الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد، متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، وتكون للخالق والمخلوق، والعبادة لا تكون إلا للخالق"[18].

وعرّف أبو البقاء الكفوي الطاعة بقوله: "والطاعة: فعل المأمورات ولو ندبًا، وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة، والمحارم، ونحو ذلك طاعة لله، وليس عبادة، وتجوز الطاعة لغير الله في غير المعصية، ولا تجوز العبادة لغير الله...، والطاعة هي الموافقة للأمر أعم من العبادة، لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم"[19].

ويمكن أن نستخلص من كل ما سبق ذكره أن العلماء قد ذكروا لمفهوم العبادة المعاني الآتية:

1- اللين والذل.

2- القوة والصلابة، والأنف والحمية.

3- الطاعة مع الخضوع.

4- فعل المكلف ما يخالف هوى نفسه إرضاء لربه.

5- الرضى بما يفعل الرب.

6- فعل ما يرضي الرب.

7- توحيد الله سبحانه وتعالى.

8- إفراد الله سبحانه وتعالى بالتعظيم والخضوع والمحبة.

وسيجعل الباحثان هذه الدلالات فروضًا علمية، وسيقومان بالتحقق منها من خلال الاستعمال القرآني لهذا اللفظ في كل سياقاته مع كل ضمائمه الواردة معه في تلك السياقات.

المطلب الثاني: إحصاء عام لورود لفظي العبادة والطاعة في القرآن الكريم مع جميع مشتقاتهما وإسناد أفعالها إلى الفاعلين، وتسلطها على المفعولين.

مخطط رقم (1) إحصاء عدد ورود لفظ (العبادة) ومشتقاته في القرآن الكريم

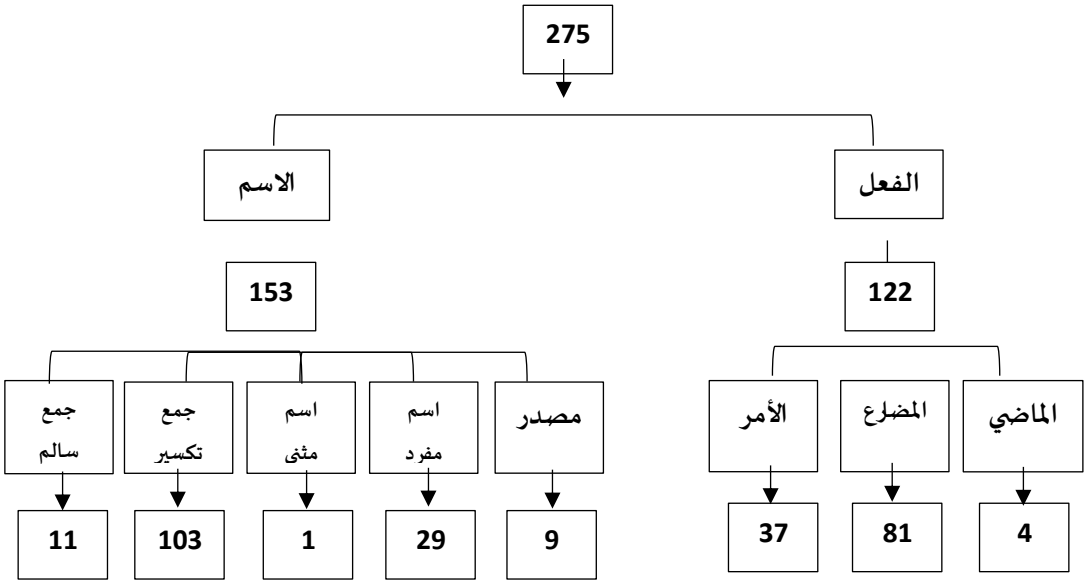

وكما هو موضح في هذا المخطط، فقد ورد لفظ العبادة بكل مشتقاته مائتين وخمسًا وسبعين مرة. منها مائة واثنتان وعشرون مرة بصيغة الفعل، وكان منها أربع مرات بصيغة الماضي، وإحدى وثمانون مرة بصيغة المضارع، وسبع وثلاثون مرة بصيغة الأمر. وورد بالصيغ الاسمية مائة وثلاثًا وخمسين مرة، كان منها تسع وعشرون مرة بصيغة المفرد، ومرة واحدة بصيغة المثنى، ومائة وثلاث مرات بصيغة جمع التكسير، وعشر مرات بصيغة جمع المذكر السالم، ومرة واحدة بصيغة جمع المؤنث السالم، أما المصدر (العبادة) فقد ورد تسع مرات[20].

أما إسناد أفعال العبادة إلى الفاعلين في القرآن الكريم فقد كان على النحو الآتي:

فقد أسندت إلى الاسم الظاهر ست مرات، وكان لفظًا واحدًا هو (آباؤنا)، وذلك نحو قوله سبحانه مخبرًا عن الكفار: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ (هود: 62). وغيرها من الآيات. وقد أسند

فعل، واحد إلى اسم الإشارة وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ (هود: 109). وأسندت إلى ضمير المتكلم المستتر (أنا) أربع عشرة مرة، منها قوله جل شأنه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (الأنعام: 56)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ (يونس: 104) وكان مرجع الضمير فيها هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأسند فعلان إلى ضمير المخاطب، فمرة كان مرجع الضمير الكفار وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ (الكافرون: 4)، ومرة كان مرجع الضمير فرعون وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ (الشعراء: 22). وأسند ثمانية أفعال إلى ضمير المخاطب المستتر (أنت) وذلك نحو قوله سبحانه حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤﴾ (مريم: 44). وقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ (الحجر: 99) وأسند فعلان إلى ضمير المتكلم المتصل (نا) ومنها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ (الزخرف: 20) وأسند ثمانية أفعال إلى ضمير المتكلم الدال على الجمع (نحن) ومنها قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة: 5).

وأُسند فعل واحد إلى ضمير الغائب العائد على المؤنث (هي). وكان مرجعه ملكة سبأ.

وأُسند فعل واحد إلى ضمير الغائب (هو) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ (الحج: 11) أما باقي الأفعال فقد أسندت إلى ضمير الجمع المتصل (واو الجماعة) وهي تسعة وسبعون فعلًا، وقد كان إسناد واحد وستين منها إلى المخاطبين بصيغتي المضارع والأمر، وثمانية عشر أسندت إلى الغائب، وقد تعددت مرجعيات هذا الضمير، إذ شملت الناس أجمعين بكل معتقداتهم. والجدول الآتي يلخص كل ما سبق:

المسند إليه	لفظه	عدد مرات الإسناد	المرجع
الاسم الظاهر	آباء - هؤلاء	7	
ضمير المتكلم المستتر	أنا	14	الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ضمير المفرد الغائب	هو	1	الناس
ضمير المخاطب المتصل	التاء	2	الكفار - فرعون
ضمير المخاطب المستتر	أنت	9	الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - آزار
ضمير المتكلم المتصل الدال على الجمع	نا	2	المشركون – الكفار
ضمير المتكلم المستتر الدال على الجمع	نحن	8	المؤمنون - الكفار
واو الجماعة	الواو	79	متعدد (المؤمنون- الكفار-المشركون...)
ضمير الغائب المؤنث	هي	1	ملكة سبأ
المجموع		122	

تسلط أفعال العبادة على معمولاتها:

تعددت مفعولات أفعال العبادة في القرآن الكريم، ويمكن تقسيم ذلك على قسمين:

أولًا: أفعال أخبرت عن عبادة الله، وأفعال دعت إليها

ويمكن تقسيم ذلك أيضًا على قسمين:

أ- أفعال تعدت إلى الأسماء الظاهرة الدالة على الله -تقدست أسماؤه- وهي:

1- إلى لفظ الجلالة (الله)، وكانت إحدى وثلاثين مرة.

2- إلى لفظ (الإله) وكانت ثلاث مرات، مرة منها أضيف إلى ضمير المخاطب العائد على يعقوب عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ (البقرة: 133). ومرتين جاء نكرة موصوفة ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ (التوبة: 31).

3- إلى لفظ (الرب) وقد تعدت إلى لفظ (رب) خمس مرات وقد كان مضافًا إلى (البلدة، وهذا البيت، وضميري المفرد (ربك) والجمع (ربكم))، ومنها قوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: 21).

4- إلى اسم الموصول (الذي) وكانت إحالته إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ورد مرة واحده في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: 22).

5- إلى الاسم الموصول (ما) وقد ورد مرتين في سورة الكافرون ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ (الكافرون: 4).

ب- أفعال تعدت إلى الضمائر المحيلة على الله سبحانه، ويمكن تقسيمها أيضًا على قسمين:

1- الضمائر المتصلة وكانت على النحو الآتي:

-الهاء: تعدت تسعة أفعال إلى الهاء، وقد كانت مرجعية هذا الضمير هو الله تبارك وتعالى ومنها قوله عز وجل: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود:123).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (مريم: 36) وغيرهما.

-ياء المتكلم: تعدت أفعال العبادة إلى ياء المتكلم العائدة على الله جل ذكره سبع مرات، وذكرت في ثلاث مرات، وحذفت في أربع، ومنها قوله سبحانه: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ (النور: 55). وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: 56)، فقد حذفت الياء وعوض عنها بالكسرة على النون.

2- الضمائر المنفصلة: تعدت أفعال العبادة إلى ثلاثة ضمائر منفصلة وكلها عائدة على الله تبارك وتعالى، وهي:

- إياي: وقد ورد مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ (العنكبوت: 56).

- إياه: وقد تسلطت أفعال العبادة عليه خمس مرات، منها قوله سبحانه: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (النحل: 144)، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ (الإسراء: 23). وقد بلغت الأفعال التي أخبرت عن عبادة الله ودعت إليها خمسة وستين فعلًا.

ثانيًا: أفعال أخبرت عن عبادة غير الله، ونهت عنها

هناك أفعال تعدت إلى ما عبد من غير الله سبحانه، سواء أكانت بالنفي والنهي أم بالإثبات، ويمكن تقسيمها أيضًا على قسمين هما:

أ- أفعال تعدت إلى الأسماء الظاهرة، وهي:

1- الأصنام: وقد تعدى فعلان إلى الأصنام وذلك في قوله سبحانه مخبرًا عن قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ ﴾ (الشعراء: 71). وقوله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ (إبراهيم: 35).

2- الأوثان: وقد جاءت مرة واحدة في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا ﴾ (العنكبوت: 17).

3- الأسماء: وقد جاءت مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ (يوسف: 40).

4- الجن: وقد جاءت مرة واحدة عندما رد الملائكة على سؤال الله سبحانه لهم في قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ: 40)، فيأتي رد الملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ (سبأ: 41). وقد ذكر المفسرون أن عبادة الجن تمثلت بطاعتهم واتباع وسوساتهم[21].

5- بنو إسرائيل: وقد تعدى فعل واحد إلى بني إسرائيل وذلك في قوله جل شأنه مخبرًا عن نبيه موسى عليه السلام ومحاجته لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ (الشعراء: 22). أي جعلتهم عبيدًا وخدمًا لك[22].

6- آلهة غير الله: وقد جاءت مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (الزمر: 64).

8- كلمة شيء: تعدى فعل واحد من أفعال العبادة إلى هذا اللفظ وقد جاء مجرورًا بـ(من) التي للتأكيد وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ (النحل: 35).

9- الشيطان: ورد فعلان منفيان تسلطا على الشيطان وكان أحدهما صادرًا عن الله سبحانه وتعالى وذلك في قوله: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ (يس: 60)، والآخر كان موجها من نبي الله إبراهيم عليه السلام لأبيه وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ (مريم: 44).

10- الاسم الموصول (الذين): وقد تعدت أفعال العبادة إلى هذا الاسم أربع مرات وكانت إحالته - طبعا- إلى غير الله ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (الأنعام: 56).

ب- أفعال تعدت إلى ضمائر عائديتها إلى غير الله -تبارك وتعالى- فقد تعدت أفعال العبادة إلى أربعة ضمائر عائدة إلى غير الله سبحانه وتعالى، اثنان منها متصلة، هما:

- هم: وقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡ﴾ (الزخرف: 20).

مرجع الضمير هو لفظ (الملائكة) المذكور في الآية السابقة.

-الهاء: وقد تعدى إليها فعل واحد وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ (الزمر: 17)، وقد فسر لفظ الطاغوت عدة تفسيرات فقيل: إنه اسم صنم، وقيل: الشيطان[23]، وقيل: الكاهن بلغة الحبشة[24] وأفضل تفسير له أنه: كل فرد أو طائفة أو إدارة تبغي وتتمرد على الله وتتجاوز حدود العبودية وتدعي لنفسها الألوهية والربوبية[25].

-أما الضمائر المنفصلة فقد ورد ضميران عائديتهما إلى غير الله سبحانه وتعالى تعدت إليهما أفعال العبادة، وهما:

-إيانا: وقد جاء مرة واحدة في قوله تعالى متحدثًا عمن حق عليهم العذاب يوم القيامة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَآۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ (القصص: 63).

-إياكم: وقد ورد مرة واحدة معمولًا لفعل من أفعال العبادة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾ (سبأ: 40).

ومجموع ما سبق ذكره من معمولات أفعال العبادة المتسلطة على غير الله سبحانه عشرون فعلًا، وبإضافتها إلى الأفعال التي أخبرت عن عبادة الله ودعت إليها، وهي خمسة وستون فعلًا، يكون المجموع خمسة وثمانين فعلًا، أما باقي الأفعال، وهي سبعة وثلاثون فعلًا، فقد تعدى أكثرها إلى الاسم الموصول (ما) وقد تنوعت صلته بين (ما يعبد الآباء - ما لا ينفع ولا يضر - وما لا يسمع - وما لا يملك رزقًا - وما تنحتون - ومالم ينزل الله به من سلطان... وغيرها)، وتعدت البقية إلى أسماء الاستفهام،

وهي الأفعال التي تقدمتها أسماء الاستفهام، وذلك نحو قوله سبحانه مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الصافات: 85)، وغيرها من الآيات.

إحصاء عام لورود لفظ الطاعة بكل مشتقاته في القرآن الكريم

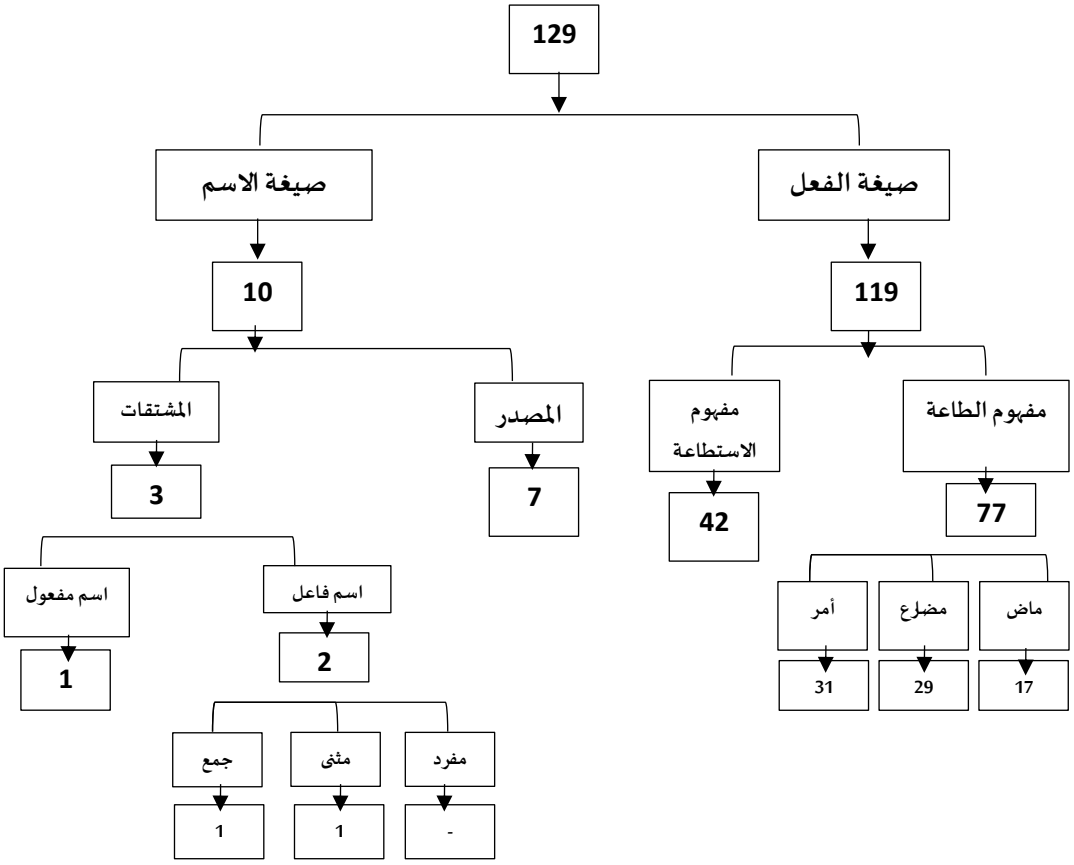

وضح المخطط السابق أن لفظ الطاعة قد ورد في القرآن الكريم مائة وتسعًا وعشرين مرة، منها مائة وتسع عشرة مرة بصيغة الفعل، وقد جاء اثنان وأربعون فعلًا منها دالًا على الاستطاعة، أي بمعنى القدرة على القيام بأمر ما. وجاء سبعة وسبعون فعلًا منها حاملًا معنى الطاعة، أي الامتثال لأمر الآمر. وكان ورود هذا اللفظ بالصيغ الاسمية قليلًا جدًا، إذ لم يرد وفقها سوى في عشرة ألفاظ كما هو موضح في المخطط السابق.

وما يهم البحث هو الأفعال الدالة على الطاعة، وسيقصر حديثه عليها، وأول ما يجب النظر فيه هو إسنادها إلى الفاعلين.

أسند فعل واحد إلى الاسم الظاهر وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ المائدة: 30)، وأسند فعلان إلى الضمير المتصل (تاء الفاعل) في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤﴾ (المؤمنون: 34). ومرجع الضمير قوم نبيٍّ لم يذكر القرآن اسمه أتى بعد نبي الله نوح عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ (الأنعام: 121) ومرجع الضمير هو مشركو العرب، وأسندت سبعة أفعال إلى الضمير المتصل (نا الدالة على الفعلين) ومنها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (البقرة: 285). وأسند أربعون فعلًا إلى ضمير الرفع المتصل (واو الجماعة) ومنها قوله سبحانه: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ التوبة: 71).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ (آل عمران: 32)، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾ (آل عمران: 50). وأسند فعلان إلى الضمير المتصل (نون النسوة) وذلك في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: 34)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (الأحزاب: 33). وأسند أحد عشر فعلًا إلى ضمير المخاطب المستتر (أنت) وذلك نحو قوله جل في علاه: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ (العلق: 19). وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان: 15). وغيرها من الآيات. وأسند فعلان إلى ضمير المتكلم المستتر (نحن) وذلك في قوله تقدست أسماؤه مخبرًا عن المنافقين: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ (الحشر: 11) وقوله تعالى:

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: 71). وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾ (محمد: 26).

وأسند اثنا عشر فعلًا إلى ضمير الغائب المستتر (هو) ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (النساء: 13). وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: 80). وقوله عزّ وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ (النساء:64)، والضمير هنا نائب عن الفاعل.

جدول يوضح إسناد أفعال الطاعة إلى فاعليها

المسند إليه	لفظه	عدد مرات الإسناد	المرجع
الاسم الظاهر	نفسه	1	قابيل
ضمير الرفع المتصل	التاء	2	مشركو العرب – قوم نبي لم يذكر القرآن اسمه
ضمير الرفع المتصل	نا	7	المؤمنون – مطيعو السادات والكبراء- الكفار المتحسرون يوم القيامة
ضمير الرفع المتصل	واو الجماعة	40	متعدد وأكثره يعود على المؤمنين – وأقوام الأنبياء والرسل
ضمير الرفع المتصل	نون النسوة	2	النساء المؤمنات
ضمير المخاطب	أنت	11	الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ضمير المتكلم المستتر	نحن	2	المنافقون - الكفار
ضمير الغائب المستتر	هو	12	أكثرها -المطيع لله
المجموع	-	77	

تسلط أفعال الطاعة على معمولاتها:

لقد تعددت معمولات أفعال الطاعة، وقد وصلت إلى خمسة وعشرين معمولًا مختلفا، فقد جاءت أسماء ظاهرة متنوعة وضمائر مختلفة. ورغبة في عدم الإطالة فسينصب كلام الباحثين على

ما يهم الموضوع. فقد أخبر جزء من تلك الأفعال ودعا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من أربعين مرة، وقد كانت بالأسماء الظاهرة الدالة على الله جل في علاه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك بالضمائر العائدة عليهما، وكذلك دعت إلى طاعة رسل الله عليهم السلام فيما جاؤوا به من ربهم، وكذلك دعت إلى طاعة أولي الأمر وإلى طاعة الوالدين.

أما الجزء الآخر فقد نهى عن طاعة الكافرين والمكذبين والآثمين والمسرفين وكل داع إلى معصية الله ورسوله وإن كان الوالدان هما الآمران بتلك المعصية، ونهى أيضًا عن طاعة الحلافين المشائين بالنميمة والفتنة بين الناس.

وقد جاءت خمسة أفعال لم تتسلط على مفعول محدد، وإن كان السياق يدل على أنها طاعة لله ورسوله، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة: 285). وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ (النور: 51).

المطلب الثالث: الاستنتاجات المستفادة من إحصاء ورود لفظي (العبادة، والطاعة) في القرآن الكريم وإسناد أفعالها إلى الفاعلين، وتسلطها على مفعولاتها

-كثرة ورود لفظ العبادة في القرآن الكريم، فقد ورد مائتين وخمسًا وسبعين مرة، وقد كانت الصيغ الاسمية أكثر ورودًا من الصيغ الفعلية، وكانت صيغ جمع التكسير (عباد، وعبيد) أكثرها ورودًا. أما الصيغ الفعلية فكان الفعل المضارع أكثرها ورودًا، إذ بلغ وروده إحدى وثمانين مرة، يليه فعل الأمر الذي ورد سبعًا وثلاثين مرة، أما الفعل الماضي فلم يرد سوى أربع مرات.

-قلة ورود لفظ (الطاعة) مقارنة بلفظ (العبادة) إذ لم يرد سوى مائة وتسعًا وعشرين مرة، وقد كانت الصيغ الفعلية أكثر ورودًا من الصيغ الاسمية، إذ لم ترد سوى عشر صيغ اسمية فقط، في حين كانت الصيغ الفعلية مائة وتسعا وعشرين صيغة، وقد تشاطرتها دلالتان: دلالة (الطاعة) بمعنى الامتثال لأمر الآمر والانقياد له، ودلالة (الاستطاعة) بمعنى القدرة على القيام بعمل ما، وقد

بلغت الأفعال الدالة على (الطاعة) سبعة وسبعين فعلًا، وقد اقتصر الحديث في البحث عليها. وقد كانت صيغ المضارع منها تسعًا وعشرين صيغة، وكان الأمر أكثر منها، إذ بلغ إحدى وثلاثين صيغة، أما الماضي فكان سبع عشرة صيغة.

-كان الموجه للأمر بالعبادة هو الله جل شأنه، ورسله وأنبياؤه عليهم السلام.

وكذلك كان الآمر بالنسبة للطاعة.

-كان إسناد أفعال العبادة إلى الأسماء الظاهرة قليلًا جدًا، إذ لم يسند سوى سبعة أفعال، في حين أسند مائة وخمسة عشر فعلًا إلى الضمائر وكان أكثرها الضمير المتصل (واو الجماعة) يليه ضمير المتكلم. كما هو موضح في الجدول السابق.

كذلك الأمر في إسناد أفعال الطاعة إلى فاعليها، فلم يسند سوى فعل واحد إلى الاسم الظاهر، في حين أسندت باقي الأفعال إلى الضمائر، وكان أيضًا الضمير المتصل واو الجماعة هو أكثرها إسنادًا. كما هو موضح في الجدول السابق.

-أخبرت أفعال العبادة ودعت إلى عبادة الله وحده، فقد تعدت إليه سبحانه في بعض أسمائه، والضمائر العائدة عليه جل في علاه خمسًا وستين مرة. أما ما أخبر عن عبادة غير الله أو تعدى إليها فكان مقترنا بالنفي أو النهي عن ذلك، وما ورد بغير نهي أو نفي فكان على سبيل السخرية والتهكم من الذين أصيبوا بالعمى، فقلدوا آباءهم وعبدوا ما كانوا يعبدون، أو أصيبوا بالضلال والجهل والسفه، فعبدوا غير الله عز وجل، من نجوم وكواكب وجن وبشر وغيرها.

أما أفعال الطاعة فقد أخبرت ودعت إلى طاعة الله، وطاعة رسوله، وأولي الأمر والوالدين - في غير معصية-، وبعض الأفعال غير متسلطة إلى مفعولاتها، لتدل على عموم الطاعة، وكانت سياقات تلك الآيات تشير بوضوح وجلاء إلى أن المقصود طاعة الله ورسوله.

-كثرة عطف طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله سبحانه وتعالى، وقد كان العطف في بعض الآيات مع إعادة الفعل (وأطيعوا) وفي بعضها الآخر من غير إعادة الفعل.

-لم يأمر الأنبياء والرسل الناس إلى طاعتهم إلا بعد أن يدعوهم إلى تقوى الله، ومما لا شك فيه أن طاعتهم ستكون فيما أمر به الله سبحانه وتعالى.

-اختلفت الصيغ الاسمية من اللفظين في ورودها في القرآن الكريم، إذ وردت من لفظ (العبادة) مائة وثلاثا وخمسين مرة، في حين لم ترد صيغ اسمية من لفظ الطاعة سوى عشر مرات.

-ورد لفظ (العبادة) وهو مصدر الفعل (عبد) تسع مرات، وكان في معظمها مضافًا إلى الضمائر المختلفة، فقد أضيف إلى ضمير الغائب (الهاء) العائد على الله سبحانه وتعالى أربع مرات نحو قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ (مريم: 65)، ومرة إلى ياء المتكلم العائد أيضًا على الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60)، وأيضا مرة إلى الاسم الظاهر (رب) قال تعالى: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (الكهف: 110). وورد مضافًا إلى ضمائر عائدة على من عبدوا غير الله نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ (مريم: 82). ولوحظ أن لفظ (العبودية) لم يرد في القرآن الكريم.

-كانت صيغة جمع التكسير هي أكثر الصيغ الاسمية ورودًا، فقد وردت مائة وثلاث مرات، كانت خمس منها فقط بصيغة (فعيل) عبيد، والباقي بصيغة (فعال) عباد، وقد لوحظ ورود لفظ (عبيد) في سياق واحد هو سياق نفي ظلم الله لعبيده، وذلك نحو قوله جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ (آل عمران: 182)، و(الأنفال: 51). وقوله جل شأنه: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ (فصلت: 46)، ويلاحظ أنه يدخل تحت هذا الصالح والمسيء.

ومما لوحظ أيضًا أن لفظ (العباد) قد ورد دالًا على العبيد بمعنى المملوكين، وهذا يدحض رأي من زعم أن (العباد) خاص بعباد الله ولا يدل على المملوكين، وقصر جمع العبد بمعنى المملوك على عبيد فقط[26].

فقد أجمع كثير من المفسرين على أن المراد بـ(عبادكم) في قوله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ (النور: 32)، هم الخدم المملوكون[27].

-ورد الجمع السالم إحدى عشرة مرة وكان في عشر منها دالًا على المذكر وكان دالًا فيها على من يقومون بالعبادة ماعدا في آية واحدة اختلف العلماء حول دلالته فيها، وهي قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ (الزخرف: 81). وسيتحدث الباحثان عن ذلك لاحقًا.

-ذكر الباحثان أن الصيغ الاسمية من لفظ (الطاعة) كان قليلًا إذ لم ترد منه سوى عشر صيغ اسمية، فقد ورد المصدر (طوعا) أربع مرات وكان في جميعها منصوبًا على الحال من العاقل وغير العاقل وذلك نحو قوله سبحانه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (آل عمران: 83). وقوله تعالى:﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ (التوبة: 53). ووردت صيغة الاسم (الطاعة) ثلاث مرات ومنها قوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور:53. وورد بصيغة المثنى من اسم الفاعل (طائع) مرة واحدة في قوله سبحانه:﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ (فصلت: 11). وورد بصيغة اسم المفعول مرة واحدة في قوله سبحانه:﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: 21). أما الصيغة العاشرة فكانت صيغة اسم الفاعل المجموع في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ (التوبة: 79).

-لم ترد صيغ الجمع من لفظ الطاعة مثل (الطائعين أو المطيعين) أبدًا، في حين أن هذه الصيغة قد وردت بكثرة في لفظ العبادة -كما ذكر سابقًا- وكانت في أغلبها مضافة إلى الله عز وجل، وقد تعددت الأخبار عنها نحو: (الله رؤوف بالعباد، والله بصير بالعباد وغير ذلك، وأهم تلك الأخبار هو زَفُّ البشرى للعباد)، وهذا يدل على أن العبادة هي المعتبرة عند الله وأنها أشمل وأوسع من مفهوم الطاعة، ولذلك فلا يمكن أن تفسر العبادة بأنها الطاعة فقط.

-اقتصرت الدعوة إلى العبادة على الله سبحانه وتعالى وحده، في حين دعا الله عز وجل في علاه إلى طاعته وطاعة غيره (رسله - وأولي الأمر - والوالدين - وطاعة الأزواج من قبل زوجاتهم) وهذا يدل دلالة واضحة وجلية على أن العبادة أخص من الطاعة.

-كثيرًا ما اقترنت الدعوة إلى العبادة بالدعوة إلى الإخلاص في الدين قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر: 2). وغيرها من الآيات.

المعاني التي دل عليها لفظ (العبادة) وتوجيهاتها:

لقد اختلف أصحاب كتب الوجوه والنظائر في عدد الوجوه التي ورد عليها لفظ العبادة في القرآن الكريم، فمنهم من ذكر ثلاثة أوجه هي:

1- التوحيد وجعل منه قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: 21) أي وحدوه، وقوله سبحانه: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ (النساء: 36).

2- الطاعة وجعل منه قوله سبحانه: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ (سبأ: 41) أي يطيعون الشياطين.

3- السجود للأصنام، وهي، وإن سمتها العرب عبادة، فليست بعبادة، وعلل ذلك بأنه مثلما سمت العرب ربًا وإلها، وليس هو على الحقيقة[28].

ومنهم من ذكر له وجهين فقط هما: التوحيد والطاعة[29].

ويمكن تقسيم الآيات التي ورد فيها لفظ العبادة بالصيغ الفعلية حسب السياقات التي وردت فيها، والضمائم التي اقترنت بها على النحو الآتي:

أولًا: الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى

وردت معظم الآيات التي جاءت بالصيغ الفعلية داعية إلى عبادة الله وحده، ويمكن تقسيم تلك الآيات على النحو الآتي:

1- آيات التعريف بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته والأمر بعبادته.

ومن تلك الآيات قوله جل في علاه مخاطبًا نبيه موسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه: 14)، وقوله جل شأنه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ (الأنبياء: 25)، فالله تباركت أسماؤه يعرف أنبياءه ورسله عليهم السلام ويبلغهم بوحدانيته في الألوهية ثم يأمرهم بعبادته، سبحانه، العبادة القائمة على المعرفة والعلم بالمعبود. وقد اختلف المفسرون في معنى العبادة المرادة هنا، فمنهم من ذهب إلى أن المراد التوحيد[30]. ومنهم من قال إنها غاية التذلل والانقياد في كل ما يكلف به[31].

ويرى الباحثان أن المراد بالعبادة في الآية هو مفهومها الشامل الذي يندرج تحته كل ما جاءت به الأديان السماوية وأولها التوحيد، وكذلك القيام بكل ما أمر به الله سبحانه من طاعات وما نهى عنه من محرمات ومنكرات، جاء في تفسير الشعراوي: "ومعنى العبادة: الناس يظنون أنها الصلاة والزكاة والصوم والحج، إنما للعبادة معنى أوسع من ذلك بكثير، فكل حركة في الحياة تؤدي إلى العبادة فهي عبادة، كما نقول في القاعدة: كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[32].

وهذا ينطبق تمامًا على التوحيد وأداء الشعائر الدينية، فأداء الشعائر متوقف على الإيمان بالله تبارك وتعالى ومعرفته وتوحيده، ولا يمكن أن يقوم غير الموحد بأدائها، وكذلك الموحد العارف بربه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يضيع شعائره التي فرضها على عباده. ومما يؤكد ذلك أن العبادة تقدمت على أداء هذه الشعائر في بعض الآيات الكريمة نحو قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه: 14) وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ (البينة: 5). وفي بعضها الآخر تأخرت وذلك نحو قوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ الحج:77.

وقوله: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ (النجم: 62).

2- آيات تعلل استحقاق الله للعبادة.

ومن تلك الآيات قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ (البقرة: 21)، فالخالق هو الذي يستحق العبادة، بل إن الله تعالى قد علل الخلق بقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: 56)، ومن مقتضيات استحقاق العبادة أن يكون المعبود قادرًا على رزق عباده وبيده نفعهم أو ضرهم، ولذلك سفّه القرآن الكريم عقول الكفار والمشركين قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾﴾ (الأنبياء: 66)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ (العنكبوت: 17)، وغير ذلك من الآيات.

3- آيات تدعو إلى قصر العبادة على الله وحده وإخلاص الدين له.

ومن تلك الآيات قوله سبحانه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ (يوسف: 40)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ (التوبة: 31)، وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر: 11)، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى عبادة الله وحده، والإخلاص له بالعبادة، والصبر على عبادته، قال جل ذكره: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ (مريم: 65) ولم يأمر الله بعبادة غيره مطلقًا، قال سبحانه مخاطبًا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (الزخرف: 45).

ثانيًا: آيات النهي عن عبادة غير الله

وردت كثير من الآيات تنهى نهيًا مباشرًا عن عبادة غير الله تبارك وتعالى ويمكن تقسيم تلك الآيات على النحو الآتي:

1- آيات تنهى عن عبادة الشيطان والطاغوت والإيمان بهما ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (يس: 60)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36)، وقد امتدح الله الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وبشرهم بالفوز، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ (الزمر: 17).

وقوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ النساء:51 وتتمثل عبادة الشيطان في طاعته واتباع وساوسه وإغوائه لأوليائه وإخراجهم عن السراط المستقيم الذي دعاهم الله إليه وأمرهم بالسير فيه. فإبليس الرجيم قد طلب من الله جل ذكره الإنظار إلى يوم البعث ليقوم بمهمة الإغواء والصد عن صراط الله المستقيم.

والطامة الكبرى التي يغفل أو يتغافل عنها كثير من المسلمين أن اتباع الشيطان في وسوسته لهم وتثبيطهم عن أداء الفروض الدينية وارتكاب المعاصي والمحرمات، والجري وراء ملذات الدنيا، يُعد تأليهًا له وشركًا بالله، فقد أخبر القرآن الكريم عن تخليه عن أتباعه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (إبرهيم: 22)، وقال جل شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الحشر: 16).

فالشيطان قد تبرأ من إشراكهم وكفرهم وهذا يدل دلالة قاطعة على أن مفهوم الإشراك أوسع مما قد يظن بأنه مقصور على عبادة الأصنام والكواكب والنجوم وكل ما يعبد من دون الله سبحانه

وتعالى. فها هو المتبع والمستجيب لدعوات الشيطان ووسوسته يعد مشركًا بنص القرآن الكريم، وكذلك المتبع لهواه، المعرض عن تعاليم الله سبحانه وتعالى يعد مشركًا بنص القرآن الكريم، قال جل شأنه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (الفرقان: 43)، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الجاثية: 23).

ولذلك كان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه"[33].

وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى لفظي (الجبت والطاغوت)، فمنهم من قال إنهما اسما صنمين[34] ومنهم من قال إنهما اسما شخصين هما: حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف[35].

ومنهم من قال: الجبت: الشيطان بلغة الحبشة. وقيل: الشرك[36]. ومنهم من ذهب إلى أن معنى الجبت هو: الفسل الذي لا خير فيه، وأصله الجبس، وقلبت السين تاء[37].

ولعل أصح الأقوال هو قول من ذكر أن الجبت هو كل ما عُبِدَ من دون الله[38]. وأما الطاغوت فهو الشيطان، وما يؤكد هذا قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ (النساء: 76).

وهناك من يوسع مفهوم الطاغوت ليشمل كل فرد أو طائفة أو إدارة تبغي وتتمرد على الله متجاوزة حدود العبودية وتدعي لنفسها الألوهية أو الربوبية. قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (التوبة: 31).

2 – آيات تسخر من المشركين والكفار الذين يعبدون الأصنام وغيرها مما كان يعبد آباؤهم: ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (الأعراف: 70). وقوله سبحانه: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (هود: 62)، وقوله سبحانه: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ (سبأ: 43). وغيرها من الآيات.

-اختلف المفسرون في تفسير صيغة واحدة من الصيغ الاسمية وهي صيغة (العابدين) في قوله سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ (الزخرف: 81). وقد تركز الخلاف في محورين هما: الأول دلالة (إن) أنافية هي أم شرطية؟ الثاني معنى كلمة العابدين، فقد ذكر بعض المفسرين أن العابدين في الآية تعني الآنفين من أن يكون له ولد[39]، وقيل المعنى الجاحدون[40].

وقد ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أن المعنى هو (العارفين) إذ قال بعد ذكره للآية "بمعنى أنا أول العارفين، فهو يقول ذلك في مقام التحدي لما يزعمونه..."[41].

المعاني المرتبطة بلفظ الطاعة وتوجهاتها في القرآن الكريم:

يمكن تقسيم الآيات الكريمة التي دل عليها لفظ الطاعة بالصيغ الفعلية حسب السياقات التي وردت فيها والضمائم التي اقترنت بها على النحو الآتي:

أولًا: آيات دعت إلى الطاعة، على أن توجه إلى:

1 – طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقد وردت عدد من الآيات تدعو إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ اقترنت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله، بل إن بعض الآيات قد دلت على أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طاعة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: 80).

2 – طاعة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وردت كثير من الآيات الكريمة تدعو إلى طاعة رسل الله سبحانه وكان الأمر بذلك واردًا من الله سبحانه نحو قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ (النور: 56)، ووردت بعض الآيات تدعو إلى طاعة الرسل عليهم السلام، وكانوا هم الآمرون بتلك الطاعة وذلك نحو قوله جل شأنه متحدثًا عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠﴾ (آل عمران: 50). وقوله تعالى متحدثًا عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ (الشعراء: 107).

وقد قرنت –أيضًا- طاعة ولي الأمر بطاعته سبحانه وطاعة رسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: 59).

وقد ذكرت تلك الآيات نتيجة الطاعة لله ولرسوله، ومنها الفوز والأجر الحسن والهداية، وعدم إنقاص أعمالهم، وذروتها دخول الجنة قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (النساء: 13).

3- طاعة النساء لأزواجهن.

أوجب الله سبحانه وتعالى على النساء طاعة أزواجهن، وحرّم نشوزهن عليهم، أي عصيانهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ (النساء: 34).

ثانيًا: آيات نهت عن طاعة غير الله ورسوله

وقد ورد ذلك النهي بطريقتين هما:

1- طريقة النهي المباشر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ (الكهف: 28)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾

(الأحزاب: 48). وغيرهما من الآيات. وكذلك نهى عن طاعة الوالدين إن طلبا من ولدهما الإشراك بالله قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ (لقمان: 15).

2- طريقة النهي بأسلوب الشرط.

وقد جاء هذا النهي من الله تبارك وتعالى نحو قوله سبحانه: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ (آل عمران: 149)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الأنعام: 116).

وجاء النهي أيضًا بهذا الأسلوب من الكافرين الذين كفروا بأنبيائهم ورسلهم وذلك نحو قوله سبحانه متحدثًا عن قوم من الأقوام: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ (المؤمنون: 34).

المطلب الرابع: مناقشة الفروض (المعاني التي ذكرت لمفهوم العبادة) واستخلاص النتائج

ذكر الباحثان بعد إيرادهما للمعاني اللغوية والاصطلاحية للفظ (العبادة) أنهما سيجعلان تلك المعاني فروضًا علمية وسيتحققان من صحتها من خلال تتبعهما لورود هذا اللفظ في القرآن الكريم بكل صيغه وسياقاته وضمائمه.

1- دلالة اللفظ على اللين والذل، وهذه الدلالة ذكرها ابن فارس عند ذكره للأصل الأول الذي يدل على لفظ (عبد) وقد قصر هذا المعنى على العبد المملوك، وأشار -كما رأينا في تعريفه- إلى أنه يجمع على عبيد وأعبد وعباد. ومما لا جدال فيه أن هذه السمة الدلالية يجب أن يظهرها العبد لمولاه، سواء أكان عبدًا مملوكا لشخص ما أم كان عبدًا لله تعالى.

والفرق واضح وجلي وكبير بين الحالين، فاللين والذل لله سبحانه وتعالى يورث صاحبه رفعة وعزًا في الدنيا والآخرة؛ لأنه لين وذل نابع من نفسه، أما لين المملوك وذله لسيده فقد يكون حاصلًا عن إكراه وقهر.

2- دلالة القوة والصلابة (الأَنَف والحمّية). اختلف المفسرون في إثبات هذه السمة الدلالية لهذا اللفظ وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (الزخرف: 81)، -كما رأينا سابقًا- ولكن يجب التنبه إلى أن ابن فارس قد جعل هذه الدلالة أصلًا ثانيًا لهذا اللفظ، وبناء على ذلك فلا يمكن عدها سمة من سمات مفهوم العبادة.

3- من المعاني التي ذكرت لمفهوم العبادة أيضًا الطاعة مع الخضوع، وهذا التعريف قد كلف الباحثَين البحث عن دلالة لفظ (الطاعة)، وعن وروده في القرآن الكريم أيضًا، ليصدرا حكمهما على هذا المعنى بثقة واطمئنان. وقد توصلا إلى أن الطاعة مع الخضوع ليست المعنى الكامل للعبادة؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكانت كل طاعة مع خضوع للمطاع تسمى عبادة أيضًا؛ وهذا لا يمكن بحال، لأن القرآن الكريم -كما رأينا سابقًا- قد دعا إلى طاعة غير الله تعالى، فقد دعا إلى طاعة الرسول وإلى طاعة أولي الأمر وإلى طاعة الوالدين، ودعا النساء إلى طاعة أزواجهن، في حين أنه لم يدع مطلقًا إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى. وبناء على كل ذلك يمكننا القول إن الطاعة مع الخضوع سمة من سمات العبادة أو صورة من صورها.

4 – من التعريفات الاصطلاحية للعبادة -كما رأينا سابقًا- أنها فعل المكلف ما يخالف هوى نفسه إرضاء لربه. ولا يمكن الأخذ بهذا القول على عمومه؛ لأن الذين يعرفون ربهم حق معرفته يرون أن كل ما أمر الله به من عبادات وطاعات وسلوكيات كلها توافق هوى نفوسهم، فالله تبارك وتعالى عليم خبير لا يأمر بشيء إلا لحكمة ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة أيضًا، ولكن الخلق يجهلون ذلك، فالمؤمنون الحقيقيون يجدون في طاعة الله فيما أمر واجتنابهم عما نهى لذة كبيرة ويشعرون بسعادة غامرة وهم يقومون بذلك، وفضلًا عن ذلك فإن هذا القول سيقصر العبادة على ما يكون فيه فعل ويستبعد العبادة بالأقوال، والمعتقدات.

5، 6- فرق أبو البقاء الكفوي -كما رأينا سابقًا- بين لفظي العبادة والعبودية، وخص العبادة بفعل ما يرضي الرب، أما العبودية فخصها بالرضا بما يفعل الرب، ومن خلال الإحصاء الذي أجراه

الباحثان للفظ (عبد) بكل مشتقاته فقد لاحظا عدم ورود صيغة (العبودية) في القرآن الكريم، في حين ورد لفظ (العبادة) تسع مرات معظمها كان مضافًا إلى الضمير العائد على الله جل ذكره.

7- توحيد الله سبحانه وتعالى، ذكر بعض المفسرين عدة وجوه للفظ (العبادة) منها التوحيد، واستشهدوا على ذلك ببعض الآيات القرآنية -كما رأينا سابقًا- وقد رأى الباحثان أن ذلك ليس صحيحًا أبدًا؛ لأن ذلك يودي إلى الفصل بين توحيد الله تبارك وتعالى وبين القيام بأداء الشعائر الدينية، ومن غير المعقول أن تقبل الفروض من غير الموحد، بل من غير المعقول أن يؤديها، وكذلك العكس، فلا يمكن للموحد أن يتوانى عن أداء ما افترضه الله عليه، فالتوحيد هو جوهر جميع الرسالات السماوية وأساسها الأول.

8- إفراد الله سبحانه وتعالى بالتعظيم والخضوع والمحبة، قصر بعض العلماء مفهوم العبادة على المعنى السابق، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ (البقرة: 21). وذكر أن الله سبحانه وتعالى قد وجه الخطاب إلى الناس جميعًا، بمن فيهم المنافقين واليهود والمشركين الذين ذكرهم قبل هذه الآية، ومعلوم أن أول مهمة كان يقوم بها أنبياء الله ورسله عليهم جميعًا الصلاة والسلام هي دعوة أقوامهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد اقترنت هذه الدعوة بكل نبي ورد ذكره في القرآن الكريم نحو قوله جل شأنه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ (الأعراف: 73). وكذلك مع كل نبي أو رسول عند ورود خبر إرساله، وقد جمع كل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: 36)، وهذا يعني أن جميع الخلق من الإنس والجن مطالبون بالعبادة وملزمون بها.

ويرى الباحثان أن أول مقتضى من مقتضيات العبادة هو معرفة المعبود معرفة عقلية ونقلية صحيحة – إذ لا تشرط المعرفة الحسية – ومما يجب أن يعرف هو أسماؤه وصفاته وقدراته وأفعاله.

وقد رأينا -سابقًا- كيف كان خطاب الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إذ قال: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ (طه: 14). فالله جل ذكره يعرف نبيه عليه السلام بنفسه، ثم يذكر له أهم صفة من صفاته وهي تفرده بالألوهية، ثم يأمره بعبادته، ثم إقامة الصلاة لذكره جل شأنه، وقد ذهب كثير من علماء التفسير عند تفسيره قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: 56). إلى تفسير (ليعبدون) بـ(ليعرفون) ومن أولئك المفسرين ابن كثير[42]. والعز بن عبدالسلام[43] عن عبدالملك بن جريج. والآلوسي[44] ومحمد الأمين[45]، عن مجاهد.

قال الآلوسي: "قولهم (ليعرفون) هو مجاز مرسل من إطلاق اسم السبب على المسبب، ولعل السر فيه تنبيه على أن المعتبر هو المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى، لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة"[46].

وبناء على كل ما تقدم يرى الباحثان أن المعنى الحقيقي الشامل لمفهوم العبادة هو المعرفة الكاملة بالمعبود، وعلى هذا المعنى تقوم، بل تتوجب كل المعاني الأخرى التي ذكرها العلماء لهذا اللفظ؛ لأن من يعلم الصفات الضرورية الواجب توافرها في المعبود المستحق للعبادة، وأول تلك الصفات القدرة على الخلق والإيجاد من العدم ثم القيام على شؤون خلقه والإنعام عليهم، وأنه وحده الذي يمتلك نواصيهم وبيده وحده نفعهم أو ضرهم، وإحياؤهم أو إفناؤهم، وغير ذلك، فإنه سيذعن راضيًا مختارًا لكل ما أراده منه إلهه، مؤديًا كل ما أراده منه وافترضه عليه، متجنبًا كل ما نهاه عنه، راضيًا بما قضاه ربه عليه، ساعيًا إلى إرضاء ربه بتوحيده، قائمًا بأوامره ومتجنبًا لنواهيه محبًا معظمًا له سبحانه وتعالى.

وقد أشار إلى هذا المعنى كثير من المفسرين وقد دعموا رأيهم بالحديث القدسي: "كنت كنزًا مخفيا..."، قال الآلوسي: "المطلوب من خلق العباد هو معرفته تعالى كما يشهد له سبحانه: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: 56). وفي الحديث القدسي المشهور على الألسنة، المصحح من طريق الصوفية "كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف""[47].

وقد ورد هذا الحديث كثيرًا في كتب التفاسير، وهناك من ضعفه وهناك من أنكره، قال الزحيلي بعد أن ذكر الحديث: "إلا أنه لم يصح حديثًا ومعناه صحيح مستفاد من قوله:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾"[48]، وقال في موضع آخر: "والعبادة في اللغة: الذل والخضوع والانقياد. وقال أهل السنة: إن العبادة المعرفة والإخلاص له في ذلك، فإن المعرفة أيضًا غاية صحيحة"[49].

وخلاصة ذلك أن المعاني التي ذكرها العلماء لمفهوم العبادة وعدّها الباحثان فروضًا علمية سعيًا للتحقق منها من خلال استعمال القرآن الكريم لهذا المصطلح، تعد سمات دلالية لهذا المفهوم؛ وفقًا للتحليل التجزيئي للمعنى الذي تدعو إليه اللسانيات الحديثة التي ترى أن معنى الكلمة "هو مجموعة من العناصر التكوينية، أو النويّات المعنوية، أو المكونات الدلالية"[50].

النتائج:

توصل الباحثان إلى عدد من النتائج، أهمها:

1- أن مفهوم العبادة يعني في المقام الأول: معرفة المعبود المعرفة الصحيحة الحقيقية الكاملة، فمن عرف معبوده حق المعرفة فإنه سيتبع صراطه المستقيم ويسير عليه مخلصًا، قال تبارك وتعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (آل عمران: 51). ومن المعلوم أن الأديان قد جاءت من الله حاملة كل ما يريده من عباده؛ لذلك اقترنت العبادة بطلب الإخلاص في الدين قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: 2). فمعرفة المعبود الحق تقتضي القيام بكل أوامره، واجتناب كل نواهيه.

2- لا يمكن تجزئة مفهوم العبادة عندما تكون مختصة بالله تبارك وتعالى المستحق بحق للعبادة، فيقال إنها قد جاءت هنا بمعنى التوحيد، وهناك بمعنى الطاعة، وفي موضع ثالث بمعنى إقامة الشعائر والفروض الدينية -كما وضح الباحثان ذلك-.

وكذلك عندما يرد هذا المفهوم مقترنا بغير الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يدل على سمة من سماته الدلالية كما ذكر المفسرون عند تفسيرهم لآية النهي عن عبادة الشيطان، وعبادة الجن؛ بأن المراد (الطاعة)؛ لأن القيام بذلك أي اتباع الشيطان أو اتباع الجن يعد كفرًا بالله ومخالفة لأوامره سبحانه، ويعد أيضًا شركًا بالله -كما ذكر في البحث-.

3- كل فعل أو قول أو اعتقاد أو سلوك يكون موافقًا لإرادة المعبود يعد عبادة، والعكس إن لم يكن موافقًا لإرادة المعبود، فهو كفر وشرك بالمعبود، وبناء على ذلك فطاعة الله وطاعة كل من أمر الله بطاعته تعد عبادة لله سبحانه وتعالى، وأي طاعة لغير الله أو لمن أمر الله بعدم طاعته تعد كفرًا وشركًا بالله، وعبادة لغيره.

الهوامش والإحالات:

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 728.

([2]) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين: 1123/2.

([3])ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 729.

([4]) ابن منظور، لسان العرب: 49/6.

([5]) الجرجاني، التعريفات: 120.

([6]) الكفوي، الكليات: 583.

([7]) نفسه: 650.

([8])القاهري ، التوقيف على مهمات التعاريف:235/1.

([9]) قلعجي، معجم لغة الفقهاء:303/1.

([10]) صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي: 36/4.

([11])الكفوي، الكليات: 597.

([12]) ينظر: صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي: 4/ 36.

([13]) حمّوش، التفسير المأمون: 148/1.

([14])ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 628.

([15]) الفراهيدي، ترتيب كتاب العين: 1100/2.

([16]) الجرجاني، التعريفات: 115.

([17]) القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف: 229/1.

(18) العسكري، الفروق اللغوية: 182.

(19) الكفوي، الكليات: 583.

(20) ينظر: عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 560-565.

(21) ينظر: العسكري، الوجوه والنظائر: 344/1.

(22) ينظر: المخزومي، تفسير مجاهد: 460/2. البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان: 260/3.

(23) ينظر: الآلوسي، روح المعاني: 54/3.

(24) ينظر: السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل: 93/1.

(25) ينظر: المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن: 50/1.

(26) ينظر: الكفوي، الكليات:597.

(27) ينظر: روائع البيان في تفسير القرآن:176/2. الجزائري، أيسر التفاسير: 568/3.

(28) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 317/7. ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر: 431/1.

(29) ينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر: 431/1.

(30) ينظر: الشربيني، السراج المنير: 453/2.

(31) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط: 1012/6.

(32)الشعراوي، تفسيره: 9238/15.

(33) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد: 34/ 19.

(34) ينظر: السيوطي، الإتقان: 4/ 84.

(35) ينظر: الفراء، معاني القرآن: 1/ 273.

(36) ينظر: السيوطي، الإتقان: 4/ 84.

(37) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 182/1، 183.

(38) ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 381/5.

(39) ينظر: الصوفي، البحر المديد: 282/5. ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب: 347/1.

(40) ينظر: ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب: 347/1.

(41) ينظر: فجال، القول المبين: 77.

(42) ينظر: ابن كثير، تفسيره: 425/7.

(43) ينظر: العز بن عبدالسلام، تفسير القرآن: 235/3.

(44) ينظر: الآلوسي، روح المعاني: 453/7.

(45) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان: 672/7.

(46)الآلوسي، روح المعاني: 48/8.

([47]) نفسه: 453/7.

([48]) الزحيلي، التفسير المنير: 248/20.

([49]) نفسه: 48/27.

([50]) ينظر: قدور، مبادئ اللسانيات: 307.

قائمة المصادروالمراجع:

-القرآن الكريم.

1) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت1270ه)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه.
2) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت502ه)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1412ه.
3) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت745ه)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420ه.
4) البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت150ه)، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
5) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
6) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (ت241ه)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
7) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1421ه-2001م.
8) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 2003م.
9) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425ه-2004م.
10) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984م.

11) حمّوش، مأمون، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، ط1، 2007م.

12) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

13) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911ه)، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.

14) الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت977ه)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، 1285ه.

15) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

16) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت1393ه)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1995م.

17) صقر، شحاتة محمد، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية. د.ت.

18) الصوفي، أحمد بن محمد (ت1224ه)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

19) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة، القاهرة، ط1، 1998م.

20) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن كهل (ت395ه)، الوجوه والنظائر، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428ه – 2007م.

21) عضيمة، محمد عبدالخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، د.ت.

22) عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، انتشارات إسلامي، طهران، د.ت.

23) العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

24) العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام، تفسير القرآن: اختصار تفسير الماوردي، تحقيق: عبد الله بن ابراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416ه-1996م.

25) بن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، د.ت.
26) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت207ه)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1، د.ت.
27) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي، باقري، قم، إيران، ط1، 1414ه.
28) القاهري، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زيد العابدين (ت1031)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
29) قلعجي، محمد دواس، قنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، ط2، 1998م.
30) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت774ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه.
31) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412ه.
32) مبارك، سيد، الجامع لروائع البيان في تفسير آيات القرآن، شبكة الألوكة، السعودية، 2016م.
33) المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (ت104ه)، تفسير مجاهد، نشر: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، د.ت.
34) ابن منظور، محمد بن المكرم، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
35) المودودي، أبو الأعلى بن أحمد حسن، المصطلحات الأربعة في القرآن، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، الكويت، ط8، 1401ه1981م.
36) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1995م.